

علاقة تبادلية

إلى أي مدى يمكن للدين أن يكون محفزاً على اتباع مبادئ يتعامل بها الناس مع بعضهم البعض؟ وإلى أي درجة يمكن له أن يكون ضامناً حقيقياً للتمسك بمعايير معينة تحدد مسارات الناس في تفاعلهم اليومي؟ كثيراً ما نقول إن الدين يأمر بكذا وكذا، ويحض على كذا وكذا، ويمنع هذا الأمر ويدعو إلى ذلك الأمر. فهل يكفي هذا القول ليكون مؤشراً على أن سلطة النص الديني - وحدها - تكفي لكي تزرع في نفوس الناس وعقولهم التزاماً بالمبادئ التي يجب عليهم اتباعها بين بعضهم البعض، انطلاقاً مما يحدده هذا النص من قواعد لتسيير مختلف شؤون الحياة؟

إن العلاقة بين النص الديني ومن يتبعونه هي علاقة تبادلية تفاعلية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون علاقة آلية في اتجاه واحد. فالنص وحده لا يضمن وجود تفاعل إنساني يسترشد بالقيم الأسمى التي جاءت بها الأديان جميعها. إذ لا بد من النظر إلى الاتجاه الآخر لهذه العلاقة: كيف يتعامل الإنسان مع نصه الديني، وكيف يفهمه، وكيف يطبقه؟ وما هي المصادر التي يستعين بها في هذه العملية التفاعلية؟ وإلى أي درجة يلتزم باتباع هذا النص في ظل وجود الكثير من إكراهات الحياة وصعوباتها وظروفها الضاغطة على تفكيره وأحاسيسه، وعلى علاقته بالآخرين؟

النص الديني يظل نصاً ولا يمنحه حياته ومعناه وقوته إلا تطبيق الإنسان له وتفاعله معه. ومن هذا التطبيق وكيفية يمكننا أن نفهم أبعاد العلاقة بين هذا الإنسان وهذا النص، وأن نستخلص الطريقة التي يتم بها فهم النص الديني، وكيف يمكن تحويله إلى سلوك بشري يومي يتقن التعامل العقلاني والهاديء مع مختلف أحداث الحياة وتفصيلها ومجرياتها ومصاعبها.